عين الوجه من الملك للتدبير وعين القلب من الملكوت للآخرة فيمتعه ما يجده
عنده ويعطيه بما يغيب به ويغنيه عند الخلق **وقال** مالك بن دينار قرأت في التوراة
إذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فيبكي ما شاء وقد كانوا يستعيذون بالله
من بكاء النفاق وهو أن يفتح للعبد ألوان البكاء ويغلق عنه باب الزهد والخشوع وقد
قال الله تعالى وجاءوا أباهم عشاء يبكون وكان السلف أيضا يقولون استعيذوا
بالله من خشوع النفاق قيل وما هو قال أن تبكي العين والقلب قاس فلان
يعطى الإنسان رقة قلب في جموده خير من أن يعطى دموع عينيه في قسوة قلب
ورقة القلب عند أهل المعرفة هو خشوع القلب وانكساره وذله وإخباته لمن
أعطاه هذا في قلبه لم يضره ما منعه من بكاء عينيه فإن رحم له تفيض العين فهو
فضل ومن أعطاه بكاء عينيه وحرمه خشوع القلب وذله وخضوعه وإخباته فقد مكر به
وهذا لخاتمه عطاء هو حقيقة المنع وعين التضييع وجملة بكاء العين إنما هو في علم
العقل فأما علم التوحيد فيشاهد اليقين فلا بكاء فيه لأنه يطمس لشاهد الوحدانية
فيجله عن الفرقة فتفنيه الدموع بأشغال القوة وقد وصف الله تعالى البكائين أن البكاء
يزيدهم خشوعا في قوله عز وجل ويبكون ويزيدهم خشوعا فإذا أراد الله البكاء كثيرا وجرا(?)
علمنا بذلك عدم الخشوع في القلب فكان تضعفا وعجيبا لحفايا إياك أن الذنوب
المعاد من خوف السوابق والخواتم كما كان بعض العارفين يقول أما يكفيني ومعنى من
ذنوبي وشهواتي لا أبدا إصلاحي وصلاتي لا يليق في جنب ما حزني وحسن ظني كيف
كان هذا قسمي منه ونصيبي حسني قسم الأقسام ويرزق العطايا بين العباد فكيف
كان نصيبي عنده البعد بهذا الذي ذكرناه هو مجمل خوف العلماء الذين هم ورثة الأنبياء
وهم أبدال النبيين وأئمة المتقين أولو القوة والتمكين **وسئل أبو محمد** هل
يعطي الله أحدا من المؤمنين من الخوف ما يغفل الأعمال فمن المؤمنين من يعطى من الخوف
وزن جبل قبيل فكيف يكون حالهم يأكلون ويشربون وينكحون قال نعم يعملون ذلك
والمشاهدة لا تفارقهم والبارئ يلطف بهم قيل فما الخوف قال تجليه يحجب الفرقة
بلطيف الحكمة وتمسك القلب بحجب التجلي في التصريف بصفات البشرية فيكون
مثل هذا العبد مثل المرسلين وهذا كما قال لأن شهادة التوحيد بالتصريف والحكمة
يقيمه بالقيام بالأحكام وذلك أن نور الإيمان في القلب عظيم لو كشف للقلب لاحترق
الجسم وما اتصل به من الملك إلا أنه مستتر بالعقل مرتبط بالعلم لبقاء الأحكام
والحجاب للتصريف فيها والقيام بحق ذلك مجرى الغايات من معاني القدرة والعقل
لأن الأنوار محجوبة بالأسماء والأسماء محجوبة بالأفعال والأفعال محجوبة بذاتي كان
فنطق الحركة بالقدرة وهو غيب من ورائها كذلك يلطف التصريف بالحكمة عن نور

الإيمان وأنوار الإيمان مستورة من ورائه وقال بعض العارفين لو كشف وجه المؤمن
للخلق عند الله تعالى لعبدوه من دون الله تعالى ولو كشف نور قلبه للزنديق ما بقي
له شيء على وجه الأرض فسبحان من ستر القدرة ومعانيها بالحكمة وأسبل بها حلمه
ورحمته ونظر بعقل الخلق إليه بالمتعقد وهي في قراءة أبي بن كعب مثل نور المؤمن فلولا أن نوره
نوره من نوره ما استطاع إدراك حرف يفهم معناه وقد كان أبو محمد سهل يقول الخوف
مباينة النهي والخشية الورع والإشفاق الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل
يدعوه إلى العلم ودخوله على العالم يدعوه إلى الزهد ودخوله على العامل يدعوه إلى
الزهد ودخوله على العامل يدعوه إلى الإخلاص وقال أيضا الإخلاص فريضة لا ينال إلا
بالخوف ولا ينال الخوف إلا بأن [illegible] وقال أيضا من أحب أن يرى خوف الله
تعالى في قلبه فلا يأكل إلا حلالا ولا يصح على الرجاء إلا الخائف وقال الخوف ذكر والمحبة
أنثى ألا ترى أن النساء يدعين المحبة يريد أن فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر
على الأنثى وهذا كما قال لأن الخوف حال العلماء والرجاء حال العمال وفضل العالم على
العابد كفضل القمر على الكواكب ورويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل
من علم أحب إلي من فضل من عمل وخير دينكم الورع واعلم أن الخوف عند العلماء على غير
ما يتصور في أوهام العموم ويخالف ما يعرفونه من القلق والاحتراق والوله والانزعاج
والانزعاج لأن هذه حالات ومواجيد وأحوال العاملين ليست من حقيقة العلم في
شيء بمنزلة مواجيد بعض الصوفية من العامة فيهم في أحوال المحبة من اختلاف فهم ووهم
والخوف عند العلماء إنما هو اسم لحقيقة العلم وصدق المشاهدة بأنه الأعظم عند حقيقة العلم
وصدق اليقين فيسمى هذا خائفا بمنزلة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم من أخوف الخلق
لأنه كان على حقيقة العلم ومن أشدهم حبا لله تعالى لأنه كان في نهاية القرب وقد كان حاله
السكينة والوقار في المقامين معا والتمكين والتثبت في الأحوال كلها ولم يكن وجد القلق
والانزعاج والانزعاج والوله والاستتار فراعني اضطراب عقول الخليقة وعلومهم و
ووسع قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم فكان صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي كأنه
أعرابي ومع الصبي كذلك ومع المرأة في نحوها يقاربهم في علومهم ويخاطبهم بعقولهم
ويظهر منه مثل ما هم ليعطيهم نصيبهم من الأنس ويعيد فيهم حقوقهم من الرد منه
ولئلا يعظم هيبته في صدورهم فينقطعون عن السؤال له والأنس به حكمة منه
لا يحتملون حكمة ورحمة منه قد جبل عليها فذا التيسير مواجيد من ليس به وأحكامه
عليه صيغة [illegible] ذلك تعلم الحكيم العليم ولذلك وصفه فعجب من وصفه
فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل على أخلاق الربوبية وقد ثبتنا أن ما
اسم الله سبحانه لا يطيقه من حاله ونصيبه شيئا لقوة المكين ومضل العقل في
من نصيبهم منه فسبحان الحقيقة العلا لشيء وحقيقة الزهد ونهاية التواضع

Copyright © King Saud University